التراث الفلسطيني والطبقات

علي الخليلي
دار الاداب ـ بيروت
الطبعة الاولى
حزيران (يونيو) ١٩٧٧

درس الكاتب الامثال الفلسطينية ، على قاعدة الوحدة والصراع ، ورفض الفصل الميكانيكي بينها · واعطى اهتماما كبيرا، لدراسة حركة التاريخ المادي ، المتفاوت في الفعل والتأثير ، الذي اكسب المثل سمة الشمول ، وحاول اكتناه الطبقات التي افرزت الامثال ، ودرجة وعيها الاجتماعي ·

في الفصل الاول (مدخل الى المثل الشعبي) ، ثبت الكاتب ثلاث نقاط هامة ، وهي :

١ ـ المثل نتاج جماعي وليس من صياغة عقل فرد مجبول على صياغة الحكم والامثال · ولذلك فكل (مجموعة) متجانسة طبقيا لها امثالها وحكمها · ومن غير المعقول ساعتئذ ان تبدع البرجوازية امثال وحكم الطبقة العاملة ، او ان يبدع الاقطاع امثال وحكم طبقة الفلاحين ·

٢ ـ معظم دراسات التراث استندت الى اعتماد التراث العربي « الفصيح »، واهملت في البحث والتنظير قيمة الموروث الشعبي « غير الفصيح » ، في القصص والاساطير والحكايا الشعبية والامثال ·

واذا كان الموقف التقدمي من التراث ، يقوم على استنهاض كل جوانبه الايجابية وتطويرها ، وفق منظور وايديولوجية تقدمية راهنة ، فان هذا الموقف يرفض الاستعادة الشاملة للتراث كما هو · ويرفض في الوقت نفسه الانكار العدمي لكل الماضي واعدامه ، تحت حجة انه لم يعد يلائم عصرنا ·

هذا الموقف لا يقلل من قيمة الاعمال البحثية التي تتطلب اكبر عملية رصد لهذا الماضي ، بما يخدم تعميق المعرفة ونشرها حول مرحلة من مراحل التطور · وهذه الاعمال ـ التي تبدو محايدة ، وترصد المعرفة للمعرفة ـ هي بنظر التقدمي مادة اضافية للتحليل والاستنتاج · وهذا ما حاول تأديته الكاتب ·

٣ ـ بدقة درس علي الخليلي ، تطور المثل الشعبي ، واسباب انتشاره · فمضمون المثل ، وشكله ، يساعدان على انتشاره وتناقله جيلا وراء جيل ·

وفي الفصل الثاني (المجتمع الفلسطيني من ١٩٠٠ الى ١٩٤٧) ، دراسة سياسية ـ اجتماعية ـ اقتصادية، لطبقات الشعب الفلسطيني ، تتقاطع مع الكثير من الدراسات المنشورة · والقيمة الابرز في هذا الفصل ، هي للتحليل الاجتماعي المرتبط مباشرة بموضوع الدراسة (الامثال) · ويمكن استعراض ما هو جوهري ، عند كل طبقة ، مع امثلة دالة ·